المحاضرة رقم 2: الأمير خالد الجزائري رائد النضال السياسي الجزائري 1912-1936

د. مراد بن حمودة

1- المولد والنشأة:

هو خالد بن الهاشمي بن الحاج عبد القادر، جده هو الأمير عبد القادر ولد بدمشق في 14 محرم 1292 هـ الموافق ل 20 فيفري 1875م بعدما غادرت أسرته الجزائر سنة 1848 واستقرارها بسوريا منذ 1854، تلقى علومه الأولى بدمشق على يد خيرة أساتذتها وكان يتردد في أثناء دراسته الإبتدائية على المدرسة اللعزارية الكائنة بحي سان توما بسوريا، لمدة عشر سنوات من 1882-1892 كما خصص الأمير جانبا كبيرا وهاما لدراسة الآداب العربية اشتهر خالد بلقب الأمير وهو لقب شرفي كما فضله باقي أحفاد الأمير عبد القادر فهم حريصون على لقب الأمير يتصدر أسماءهم.

كان الامير خالد متوسط الطول (1 متر و 75 سنتيمتراً) مع انحناء بسيط في ظهره لحية سوداء له سمات وملامح لها شبه كبير بجده الأمير عبد القادر، رحل الأمير خالد مع أبيه إلى الجزائر سنة 1892 وكان عمره حينها سبعة عشر سنة، درس على نفقة الحكومة الفرنسية بثانوية لويس لوغران بباريس سنة 1885 بينما وجه أخوه إلى ثانوية بيجو، بعد تخرده منها التحق بالمدرسة الحربية سان سير عام 1893 بإيعاز من جده الأمير عبد القادر وذلك خلال اجتماع عائلي سنة 1882.

كان لديه بكالوريا علوم وأصبح بعدها جنديا سان سيريا من الدرجة الثانية صف الغرباء الأهالي وتولى قيادة الدفعة النقيب دريون، اضطر الأمير لمغادرة المدرسة الحربية سنة 1895 لأنه لم يكن يرغب في قتال العرب إلى جانب فرنسا حاول الفرار إلى المشرق العربي لكنه فشل حينها قررت السلطات الفرنسية وضع أسرته تحت الإقامة الجبرية بمدينة بوسعادة، وقد أكدت التقارير الفرنسية منها (تقرير فاسي) أن خالد تجرأ على إهانة فرنسا والبصاق على رايتها حتى أنه لقب بعدو فرنسا وكان يردد دائما عبارة " أنا عربي وسأبقى كذلك ولن أتخلى عن مبادئي ومعتقدي، لذلك أنا أرفض كل ما يدعونني إليه أبي"، عرف عليه إرتداء البرنوس ولا يرغب في الزي العسكري الفرنسي.

بعد تقديم تبريرات تم إعادة إدماجه في الحياة العسكرية 1896 وظل بها حتى تخرج في أوت 1897م، برتبة ملازم بصفته أهلي وقد ظل بهذه الرتبة مدة خمس سنوات ثم أصبح بعدها ملازم أول، وجه إلى الفرقة الأولى الصبايحية، ثم انتقل إلى فريقة الصيادين الأفارقة لكنه سرعان ما انسحب منها، كونها لم تكن تقبل الضباط الأهالي أدى واجبه العسكري بالمغرب الأقصى من 08 أوت 1907 إلى غاية 01 جانفي 1909م ضمن الوحدة الرابعة، تم ترقيته إلى رتبة نقيب سنة 1908 من صفة أهلي جزاء له على مشاركته في حرب المغرب، غادر الأمير خالد الجزائر وتوجه إلى باريس سنة 1913 وبدأ جولته بإلقاء المحاضرات عن الظروف السياسية والاجتماعية التي كان يعيشوها المسلمون في الجزائر وطرح خلال محاضراته برنامج "الجزائر الفتاة" حيث قال: " نحن أبناء جنس ذي ماض عظيم، ولسنا من جنس وضيع حقير، وسنتهم بالعجز إذا نحن امتنعنا من سلوك

طريق المستقبل التي فتحت لنا وسوف لا نتردد في الإقدام على ذلك"، طلب منه المشاركة في المؤتمر العربي الأاول سنة 1913 لكنه رفض واعتذر بحجة أنه كان يتأهب للسفر إلى دمشق، لكنه وجه رسالة إلى أعضاء المؤتمر تليت على الحضور في الجلسة الختامية.

تطوع الأمير خالد أثناء الحرب العالمية الأولى في 02 أوت 1914 وظل تحت الرقابة الشديدة منذ 1915م خاصة عندما أعلن الأمير عبد المالك الجهاد ضد فرنسا بالمغرب الأقصى ، وقد طلب الامير حينها من السلطات الفرنسية أن تمنح الجزائريين بعض الحقوق وأن تعاملهم كمواطنين كاملي الصفة وإلغاء قانون الأهالي، لأنهم وفوا بوعودهم حيث توفي منهم حوالي مئة ألف شخص ، ثم عاد الأمير بعدها إلى الجزائر مع نهاية 1916 أين نقل إلى المستشفى العسكري في 24 جوان من نفس السنة لما كان يعانيه من مرض التدرن الرئوي والحقيقة أن فرنسا كانت تخشى الأمير خالد لأنه كان يعمل على تحريض المجندين في جبهات القتال على الفرار، شارك الامير سنة 1917 في مؤتمر "رابطة حقوق الإنسان" بباريس على الرغم من مرضه، تلقى الامير خالد قرار الاعفاء من الجيش في 23 أفريل 1918 لكن أعيد إدماجه بعد ذلك بطلب من العقيد هاملين والحاكم العام جونار ، أحيل على التقاعد سنة 1919 ليبدأ نشاطه السياسي الفعلي.

2- الأمير خالد وحركة الشبان الجزائريين:

ظهر مع مطلع القرن العشرين تحرك سياسي دعي بالشبان الجزائريين ممن بدأوا يتغذون بالثقافة الفرنسية ويؤمنون بتحقيق مساواتهم بالفرنسيين مما سمح بانتشار بعض النوادي الفكرية والدعوة لنشر الصحف وطباعة الكتب القديمة ودعم فكرة الاصلاح الديني، تميز أسلوب الجزائر الفتاة في العرائض والتجمعات والمحاضرات والاضرابات وهي طرق مستحدثة، تشكلت الحركة من الأطباء والمحامين والإداريين والأساتذة وضباط الجيش الفرنسي من امثال (ابن تهامي، ابن حبيلس، الأمير خالد) ويمكن تلخيص مطالب هذه الحركة :

- حق المواطنة الفرنسية في إطار الأحوال الشخصية
- إلغاء قانون الانتخابات بالنسبة للجزائريين
- المشاركة في البرلمان الفرنسي.

يعتبر الامير خالد أبرز قادة الشبان حيث تولى مهمة الدعاية لها لا سيما خلال نشاطه بباريس منذ سنة 1913 وقد حاول أعطاء هذه المطالب ضيغة جديدة مركزا على قضية المساواة بين الجزائريين والأوربيين القاطنين بالجزائر، وبأن يرفع تمثيلهم في البرلمان الفرنسي مع الابقاء على أحوالهم الشخصية الاسلامية، لاقت فكرته بالمساواة ترحيبا كبيرا من فئة النخبة، كما ركز الأمير خلال هذه المرحلة على قضية التمثيل البرلماني حيث دعا رفقة زميله حاج عمار إلى ضرورة القبول ببعض العناصر من الأهالي الغير متجنسة لتقلد مناصب بغرفة النواب الفرنسية واضعا بذلك مقارنة بين وضعية السود في جزر المارتنيك،

والجواد لوب اللذين كان لهما ممثلون في البرلمان الفرنسي في حين لم يجد الأهالي الذين يبلغ عددهم 5 ملايين من يمثلهم، ثم دعا الامير الادارة الفرنسية أن تسمح للأهالي بإقامة مدارس عربية ، كما نبه إلى حرية الصحافة والاجتماع .

انقمست حركة الشبان إلى حزبين إصلاحي وليبرالي ونشب خلاف بين الزعماء الداعين للإندماج مع فرنسا والرافضين لذلك وزاد صدور قانون الإصلاحات في 04- 02- 1919 من تباعد وجهات نظرهما، من خلال دفاعه عن القضية الوطنية استعمل الأمير على منهجية تركزت على أربع وسائل أساسية وهي:

- الصحافة - الخطب - المجالس المنتخبة - الاتصال بالشخصيات الفرنسية

3- الامير خالد والانتخابات ما بين 1919-1925

شكلت قضية الانتخابات في العشرينيات من القرن الماضي نقطة أنطلاق جديدة في مسار الحركة الوطنية الجزائرية، ورغم الانتقادات التي وجهت لإصلاحات فيفري 1919 من قبل الأمير خالد في جريدة الإقدام وذلك بقوله "لم يأت قانون فبراير 1919م بالجديد بالنسبة للجزائريين، لأن هؤلاء أرادوا أن تؤخذ مطالبهم وأفكارهم السياسية مأخذ الجد والتطبيق ولك يكن ذلك ممكنا إلا بمشاركة الجزائريين في البرلمان الفرنسي" ، واعتبر الأمير خالد قانون الإصلاحات الذي نادى غليه جونار مغالطة كبيرة لأنه صور الأهالي المسلمين بأنهم أصبحت لهم حقوق سياسية وحظوظ انتخابية رغم مشاركته فيها، وللإشارة فإن الأمير حاول الاستفادة من قانون فبرابر 1919 للدفاع عن قائمته المنادية بالاحتفاظ بالأحوال الشخصية الإسلامية المعارضة لقائمة المتجنسين وألقى خطب بهذا الصدد عدة خطب بالعاصمة ذكر فيها الإدارة الاستعمارية بأن هدفه لا يعني تمثيل الجزائريين بشكل يتناسب والتمثيل الفرنسي.

دعا الأامير خالد خلال هذه الانتخابات إلى تزكية قائمته لقوله " عليكم باختيار قائمة المسلمين إذ كنتم لا ترغبون بدعاة التجنيس" وأن المسلم لا ينتخب أبدا على غير مسلم وقد ذكر بأمجاد جده حين قال " لا تنسوا أن آباءكم كانوا يمتثلون إلى أوامر جدي عبد القادر" ، وقد فاز الأمير بهذه الانتخابات حيث حصل على 940 صوت ضد 332 صوت لابن التهامي، كان رد فعل الإدارة الفرنسية والكولون والصحافة عنيفا واعتبروا الأمر خطير ويهدد مصالح فرنسا في الجزائر ووصفته بالأمير المزعوم ورئيس الشيوخ ذوي العمائم وبطل المسلمين المحافظين وكانت ترى في نجاحه يقظة للتعصب الاسلامي وحينها قرر مجلس رؤساء العمالات إلغاء الانتخابات بحجة عدم كفاءة مرشحي هذا الحزب للمارسة هذه المهام.

عاود الترشح للانتخابات العمالية في فيفري 1920 ثم انتخابات أفريل من نفس السنة بصفته نائبا ماليا ومستشارا عاما تحصل خلالها على نتائج هامة :

تحصل في انتخابات فيفري على 2295 صوت والدكتور تامزالي على 245 صوت

تحصل في انتخابات أفريل على 7000 صوت بينما حصل زروق محي الدين على 2500 صوت

إن تمسك الأمير خالد بأفكاره والذود عن الدين قد اكسبه ثقة الأهالي المسلمين ما مكنه من الفوز في انتخابات فيفري وأفريل 1920 ولكن الادارة الفرنسية اتهمت الأمير بأنه يمت بصلة لبعادات المرابطية وأنه من أنصار الجامعة الاسلامية والبلشفية كماعلمت على إلغاء انتخابات فيفري 1920، ويذكر محفوظ قداش أن الأمير اغتنم فرصة زيارته لباريس 1920 وقام بعدة لقاءات ونشاطات بمقاطعة لوكسمبورغ لدعوة الممثلين الدبلوماسيين بمجلس الشيوخ الفرنسي بعدم المصادقة على قانون الأهالي كما تهجم على الإداريين الذين خرقوا قواعد الأخلاق والشرعية.

ظهر الامير خالد من جديد على رأس قائمة انتخابية جديدة سنة 1921 ضمت عناصر فرنسية متعاطفة مع الجزائريين مثل فكتور باروكان وبعض الشخصيات العاصمية كالصناعي شكيكن وكان برنامجه يتمحور حول :

- منح الجزائريين المواطنة الفرنسية ضمن قانون الأحوال الشخصية
- حق التمثيل في البرلمان الفرنسي
- إلغاء البلديات المختلطة ذات الحكم العسكري
- إنشاء جامعة عربية
- التعليم إجباري باللغتين الفرنسية والعربية

فازت قائمة الأمير خالد فوزا ساحقا الأمر الذي أربك السلطات الفرنسية والكلولون الذين سارعوا إلى الاحتجاج والتزوير ما جعل الاقدام تخصص الصفحات الأولى للتطرق لهذه التجاوزات والمخالفات القانونية التي سادت فترة الانتخابات، ونتيجة لعدم الاستجابة لهذه التجاوزات قرر الامير الاستقالة من كل المجالس المنتخبة (البلدي، العمالي، المالي) حيث أرسل قرار استقالته في 02 ماي 1921 من مدينة عين البيضاء إلى عامل العمالة جاء فيها " علينا اليوم وأكثر من أي وقت مضى توجيه أنظارنا نحو الوطن الام فرنسا ونحوها فقط، على أمل رؤية هذا الوطن وهو يقرر مصيرنا بصورة حقيقية"، كما شارك في الانتخابات البلدية التي جرت في 10 ماي 1925 عندما ضم اسمه إلى قائمة الشيوعيين لكنها زورت مثل سابقتها.

وحول الانتخابات كتب الأمير خالد قائلا: " إن الاستعماريين الأوربيين وأعوانهم فضلوا أنسا جهالةن عينوهم تعينا على المثقفين المسلمين المخلصين الذي كان الشعب يريد انتخابهم فحالوا دون ذلك، االتهموا هؤلاء المثقفين بالوطنية المتعصبة وبالتروع إلى الاستقلال التام" ويذكر السيد أجرون ان الأمير لم يكن يهدف من خلال دعوته إلى المساواة مع الفرنسيين أن يصبح المسلمون الجزائريون فرنسيين لكنه حاول أن يصل بهم إلى تحقيق فكرة تمثيلهم في المجالس المنتخبة ومن ثمة يتساوى هؤلاء مع المعمرين بالجزائر.

4- عريضة الأمير خالد إلى الرئيس ولسون

انتهت الحرب العالمية الأولى عندما أعلنت الهدنة بين القوى الكبرى المتحاربة وانعقد مؤتمر فرساي في جانفي 1919 واتخذ الحلفاء العاصمة الفرنسية باريس مقرا للمؤتمر اعترافا منهم بالدور الخطير الذي أدته فرنسا في الحرب، حينها عزم الأمير

خالد على عرض القضية الجزائرية على الرئيس ولسون وقد كان مبدأ تقرير المصير بملأ العالم حينها، بعث قبل رسالة الأمير رسالة مشتركة جاءت باسم الشعب الجزائري والتونسي يوم 02 جانفي 1919 والتي تقدم بها وفد مشترك من الشخصيات السياسية جزائرية وتونسية ووقعت هذه الرسالة من قبل ستة شخصيات جزائرية وتونسية إلى الرئيس الأمريكي ولسن.

في يوم الجمعة 23 ماي 1919 قدم وفد جزائري من خمسة أعضاء برئاسة الأمير خالد الحسني إلى باريس واتصلوا باللجنة (الأمريكية للمفاوضات على السلام) بفتدن كريون وهناك تقدموا بعريضة إلى الملازم جورج ب نوبل ضابط مشاة باللجنة وقد امتنعوا من توقيع العريضة ومن ذكر أسماءهم خوفا من المتابعات السلطات الفرنسية إلا الأمير خالد فإنه أعلن عن اسمه وطلب منه توصيل العريضة إلى الرئيس ولسن وهي مكتوبة على الآلة الراقنة تقع في أربع صفحات باللغة الفرنسية .

5- تأسيس الأمير خالد لجمعية الأخوة الجزائرية سنة 1922م

أسس الأمير خالد جمعية دعاها "الأخوة الجزائرية" بالجزائر في 23 جانفي 1922 وانخرط فيها الشبان والأعيان والفلاحون والمثقفون وغيرهم بمبلغ من الاشتراكات، وقد اختلفت تسمية الجمعية في بعض المراجع والمصادر فيمن يدعوها الأخوة الجزائرية والآخر يدعوها الأخوة الاسلامية ، وقد اعتبر الأمير خالد سياسية وطنية وذلك في تصريح له لجريد إيطالية "لانازيون" في 10 جوان 1922 " إن حركتنا ليست دينية ولكن قوة سياسية لأن القضية هي قضية استقلال الأوطان الإسلامية" ، ترأس الأمير خالد الجمعية إلى جانب سكرتيره العام السيد حميدة والأمين العام السيد يوسفي حمدان ويمكن تلخيص أهداف الحركة في النقاط التالية:

- تحسين الأوضاع االجتماعية والاقتصادية والثقافية وتهيئة الظروف المادية والمعنوية للمسلمين الجزائريين
- المقاومة ضد سياسة اللاعدل والظلم والتعسف من خلال الدعوة إلى المساواة بين الفرنسيين والجزائريين
- المطالبة برفع حالة تطبيق الاجراءات الاستثنائية والعودة إلى العمل بالقوانين العامة (المدنية)
- تطبيق ما جاء في قانون 04 فيفري 1919 وبخاصة ما يتعلق بالبند 14 منه
- التمثيل البرلماني للجزائريين في البرلمان الفرنسي مع احتفاظهم بأحوالهم الشخصية الاسلامية

ويذذكر سبيلمان " أن الأمير تمكن من مخاطبة حوالي ثلاثة ألاف رجل امام بلدية بسكرة حول قضية التمثيل البرلماني للجزائريين في البرلمان الفرنسي" بالاضافة إلى تأكيد البعد الواقعي للمطالب الجزائرية وقد جاء في البند الأول من تأسيس الجمعية ما يلي:

خلق وسائل وإيجاد ظروف ملائمة للدفاع هن حقوق الجزائريين

تأكيد أواصر الثقة للحصول على قاعدة شعبية بهدف تحقيق نتاائج مشجعة في الانتخابات

وهي نفس المطالب التي تقدم بها للرئيس الفرنسي ألكسندر ميليران في أثناء زيارته للجزائر في ربيع 1922 حيث خطب امامه باسم جميع السكان الجزائريين بكل فخر واعتزاز ومما قاله " لقد أتينا للاشتراك في تمثيل نيابي- برلماني في البرلمان الفرنسي، ونحن نستحق هذا الشرف وسعبر الوطن الأم دونما ريب، أن من واجبه إقرارانا ومنحنا هذه الحقوق تلقائيا" .

6- الأمير خالد وميلاد نجم شمال إفريقيا سنة 1924

يشكل تأسيس النجم حدثا مهما في تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية، والظاهر ان الدراسات ونتائج الأبحاث اليوم تقف على إشكال تاريخي حول فكرة تأسيس حزب نجم شمال إفريقيا ونتساءل هل كان للأمير خالد أول من بعث فيه الحياة وأخرجه إلى الوجود كما تزعم بعض الروايات ، وفي الوقت الذي تفن روايات أخرى هذه المزاعم، والحقيقة التي تلقى تأييدا بين جموع المؤرخين والباحثين هي أن الأمير خالد أسهم اسهاما بالغا في ظهور نجم شمال إفريقيا وإليه يعود الفضل في تفعيل النشاط السياسي بين المهاجرين بعد أن نفته السلطات الفرنسية إلى فرنسا سنة 1924م

كان نشاط الأمير خالد في المهجر بارزا خاصة بعد وصول الكتلة اليسارية إلى الحكم بقيادة إدوارد هوريو أرسل إليه الأمير برقية يوم 14 جوان 1924 منها " إن توليكم الحكم يجعلنا نستبشر في أن نرى عهدا جديدا للأهالي الجزاءر وهو دخولهم في طريق التحرر وحرية التعليم والمساواة في المسؤوليات العسكرية لأن الواجبات تعني الحقوق، وإلغاء القوانين الاستثنائية والتمثيل البرلماني في الملجس الوطني الفرنسي، والعفو السياسي، إننا نأمل ذلك في روحكم الليبرالية" فقبل طلبه واستقر بباريسن وقد تمكن بعدها من عقد أول اجتماع له بمنزل الصحافي الجزائري أحمد بهلول حضرته عدة شخصيات شيوعية فرنسية وفي 12 جويلية 1924 ألقى الأمير محاضرة بقاعة المهندسين "بجي بلونش" وسط اجراءات أمنية مشددة حضر اللقاء حوالي 12 ألف مهاجر من الجزائريين والتونسيين والمغاربة وكذلك من بعض الفرنسيين المؤيدين لحركة الاستقلال شمال الافريقي، واستقبل الأمير بهتافات الحضور وبعبارات "تحيا الجزائر" و"يحيا الأمير خالد ضحية النظام الكولونيالي" و"يسقط المتواطئون" وفي ختام محاضرته أعلن الأمير عن ميلاد حركة سياسية تدعى " نجم شمال إفريقيا والمسلمين " اما المحاضرة الثانية فقد تم عقدها بقاعة اوغسطين بلونش في 19 جويلية 1924 وكانت بنفس عدد وحماس المحاضرة الأاولى، وقد ركز في هذه المحاضرة على ضرورة تأسيس حزب سياسي جزائري كا نهذه المرة باسم "نجم شمال إفريقيا "

ومن الأمور التي تؤكد اسهام الأمير في تأسيس النجم نجد:

- أنه كان رئيسه الشرفي منذ 1924 فقد وضع اسم الأمير خالد رئيسا شرفيا كما هو مبين في بطاقة الاشتراك لعضوية النجم
- تسمية جريدتي "إقدام باريس" و "إقدام شمال إفريقيا" وهو نفس اسم جريدة الاإقدام للأمير خالد

للتذكير أن السلطات الفرنسية نفت الأمير خالد إلى مصر سنة 1923 وبعدها انتقل إلى باريس سنة 1924 حوكم الامير في الاسكندرية بالمحكمة القنصلية واتهم بحيازة جواز سفر مزور ومحاولة الهروب إلى أوربا واعتقل في مدينة بنها المصرية كما

اتهم كذلك بإثارة الفوضى والقلاقل خاصة بعد ما دعى القنصل الفرنسي للمبارزة برأته محكمة اكس سنة 1925 وأبعد بعدها إلى دمشق واستقر ببيت ابن عمه الأمير سعيد ثم أخذ يمثل الدور الثالث من حياته هناك حيث كان مدافعا عن الجزائر عبر الصحف المشرقية وحتى الفرنسية توفي الأمير في 1354ه الموافق ل 09 جانفي 1936 بدمشق بعد أسبوعين من وفاة زوجته ، أقامت له عدة مدن جزائرية حفلات تأبين ووداع ونظمت الكثير من الأشعار رثاء على مثواه وكتبت جريدة لاديفونس بالمناسبة " إن حياته مرت كلها في أداء الواجب وأن أفكاره لن تبرح تتجدد على مر السنين لأنها قائمة على المنطق وحقائق التاريخ " .

قائمة المراجع:

1- بن الشيخ الحكيم: التأطير الحركي للتيار الوطني في مسيرة الأمير خالد (1912-1936)، المجلة المغاربية للدراسات التاريخية والاجتماعية، المجلد 09، العدد 01، جوان 2018.

2- سعودي أحمد: نضال الأمير خالد الهاشمي الجزائري 1913-1936 على خطى العظماء، مجلة العلوم الإنسانية والحضارة، المجلد 06، العدد 02، 2024.

3- عبد المجيد بن عدة: من أعلام الوطنية والإصلاح في الجزائر الأمير خالج (1875-1936)،

4- فاطمة حباش: البعد الوطني في نضال الأمير خالد، عصور جديدة، العدد 23، 2016

5- قويرصان خالد وأيت بعزيز عبد النور: البعد المغاربي في نضال الأمير خالد، مجلة البحوث التاريخية، المجلد 07، العدد 01، جوان 2023.